الجمل القرآنية وأثرها في تعدد المعنى
دراسة تفسيرية

الباحثة
سهاد حسين عبد الرضا
جامعة الكوفة - كلية الفقه

Qur'anic sentences and their impact on the multiplicity of meaning An explanatory study

Researcher
Suhad Hussein Abdul Reda
University of Kufa - Faculty of Fiqh

الملخص :

تقوم هذه الدراسة على بحث أنواع الجمل القرآنية ، وأثرها في تعدد المعاني للجملة الواحدة ، حيث أن تركيب الجملة في النص القرآني يجعلها قادرة على أداء أكثر من معنى واحد في الموضع الواحد ، وقد يحتمل أن تكون تلك المعاني كلها مرادة في ذلك الموضع ، على اختلافها- أي تلك المعاني- وتنوعها في السياق الذي وردت فيه ، وبناء على ذلك فالجملة في القرآن الكريم يمكن أن تعطي أكثر من معنى ، أما لكونها جملاً غير قياسية في طريقة تركيبها - من ناحية ارتباط المسند بالمسند اليه - ، أو لتعدد احتمالات المحذوف فيها فيجعلها قادرة على اعطاء عدد من المعاني المفادة من ذلك الحذف ، أو قد يكون جمع المعاني متأتياً من أنها تجمع أسلوبين في طريقة صياغتها.

الكلمات المفتاحية : الجمل ، المحذوف ، العربية ، القران الكريم ، الاية ، السورة ، القياسية .

Abstract:

This study examines the types of Quranic sentence and its effect on the multiplicity of meanings of the sentence. The syntax of the sentence in the Qur'anic text makes it capable of performing more than one meaning in one place. It is possible that these meanings are all simultaneous at the same time, Meaning that the sentence can give more than one meaning, either because it is a non-standard sentences in the way they are installed - in terms of the correlation of the predicate to the document - or to the multiplicity of possibilities deleted in it makes them Able to give a number of meanings learned from that deletion, Or the collection of meanings may be due to the fact that they combine two styles in the way they are formulated.

Keywords: statement, deleted, Arabic, Holy Quran, verse, Surah , standard.

توطئة

حدد النحويون ماهية الجملة العربية بأنها تتكون من ((المسند والمسند اليه وهما لا يُغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بداً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك عبد الله اخوك .. ومثل ذلك يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الاول بدٌ من الآخر في الابتداء)) [١]، وعرفها ابن جني(ت٣٩٢هـ) بأنها((كل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه . وهو الذي يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد ، وفي الدار أبوك)) [٢] .

أما ابن هشام (ت٧٦١هـ) فذكر بأن ((الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ...والمبتدأ وخبره وما كان بمنزلة احدهما نحو (ضُرِبَ اللصُ) و(أقائم الزيدان) و (كان زيدٌ قائماً) وظننتهُ قائماً)) [٣].

ولما كانت الجملة – بحسب ما تقدم – تقوم على أساس البنية القواعدية. فإننا نجد أن تعدد المعنى ينشأ من خلخلة البنية القواعدية للجملة [٤] ؛ لجعلها قادرة على انتاج أكثر من معنى ، سواء بإعادة صياغة الجملة أو عن طريق الحذف والاختزال في الألفاظ فلا تعود الجمل كما كانت في سابق عهدها تتكون من المسند والمسند إليه فالملاحظة الأساس هي انه من عملية الهدم هدم البنية النحوية للجملة تنتج عملية تعدد المعنى [٥] .

وقد أشار ابن المعتز(ت٣٩٩هـ) الى هذا المعنى في حديثه عن الاستعارة البديعية [٦] ، وأوضح أن ((طرافتها تكمن في الانحراف عن القاعدة المستقرة في الاستعمال – سواء أكانت هذه القاعدة متعلقة بالربط بين الكلمات ومعناها ، أو الربط بين الكلمات وما يجاورها من كلمات في الصيغ الجديدة المبتكرة ...)) [٧] ، ثم ان هذه الصيغ الجديدة المبتكرة ((تجذب الانتباه إليها فهي لا تُعبر بطريقة تشبه استخدام اللغة القياسية العادية)) [٨].

وبناء على ما تقدم يمكن تقسيم الجمل القرآنية - في انتاجها لأكثر من معنى - على الأنواع الآتية :

الجمل غير القياسية

الجمل التي يتعدد احتمال المحذوف فيها

الجمل الجامعة لأسلوبين في طريقة صياغتها

أولاً: الجمل غير القياسية

ونقصد بها مجئ الجمل بتركيب مخالف لما هو معهود في النحو العربي من وجوب تكونها من المسند والمسند إليه وترتيبهما ، فقد يحذف أحدهما ويؤتى بمسند مخالف للمسند إليه في المعنى ، وقد يتقدم ما حقه التأخير على ما حقه التقديم ، وبذلك تخرج الجمل عن الطبيعة المتعارف عليها إلى تركيب قَصد إلى المخالفة ؛ مبتغياً من وراء ذلك انتاج عدة دلالات من تلك المخالفة ، وبناءً عليه فإن ((تحويل مواقع الأركان اللغوية في التركيب اللغوي ؛ لأفادة مزية معينة أرتبطت بدواعي الاهتمام والعناية بالمعنى))[٩].

ومن الأمثلة التي يبرز فيها التعدد ، قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(العنكبوت : ١٧) ، إذ وقع تعدد المعنى في جملة (تَخْلُقُونَ إِفْكًا) ؛لأن الجملة القياسية فيها أن تقول (تخلقون الاصنام وتختلقون الإفك) لكن مجيئها بهذه الصورة قُصد منه جمع معنيين أشار اليهما المفسرون ، قال البيضاوي(ت٦٨٥هـ) مشيراً إليهما : ((وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله تعالى ، أو تعملونها وتنحتونها للإفك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور وباطل))[١٠] ، ووافق السعدي(ت١٣٧٦هـ) البيضاوي بقوله : ((تنحتونها وتخلقونها بأيديكم ،

وتخلقون لها أسماء الآلهة ، وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك))[11].

ويبدو أنه تعالى أراد المبالغة في وصفهم بالكذب فجاء بتركيبٍ دل على معنى (تصنعونها للكذب وتكذبون بجعلها آلهة) فجمع المعنيين في آن معاً ، فيكون تفصيل المعنى **الأول** : ((تصنعون وتنحتون . أى : وتصنعون بأيديكم هذه الأوثان صنعاً ، من أجل الإفك والكذب والانصراف عن كل ما هو حق إلى كل ما هو باطل))[12].

أما المعنى **الثاني** فتفصيله : ((وتكذبون كذباً واضحاً ، حيث سميتم هذه الأوثان آلهة ، مع أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تغني عنكم ولا عن نفسها شيئاً))[13] ، وبذلك أغنت الجملة عن ذكر الفعلين فذكرتهما بفعل واحد أدى وجوده في السياق المعنيين كليهما .

ومثله أيضاً قوله جل وعلا : ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾(فاطر :١٢) ، قال ابن كثير(ت ٧٧٤ هـ) إن معنى المخر ((أي تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره))[14] ، والآية الكريمة يُلحظ فيها أنها لم تأتِ بالتركيب القياسي الذي ورد في قوله تعالى﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ (النحل:١٤) بل جاء فيها معمول الحال (وهو الجار والمجرور) متقدماً على عامله وهو الحال(مَوَاخِرَ) ، قال الآلوسي : ((وقيل المُخر صوت جري الفلك وجاء في سورة النحل (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ) بتقديم (مَوَاخِرَ) وتأخير(فِيهِ) فعُكس هاهنا)) [15] ؛ ويرى الآلوسي أن السبب في ذلك ((أن آية النحل سيقت لتعداد النعم كما يؤذن بذاك سوابقها ولواحقها وتعقيب الآيات بقوله سبحانه : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (النحل:١٨) فكان الأهم هناك تقديم ما هو نعمة وهو مخر الفلك للماء بخلاف ما هنا))[16].

أما الشيخ حسن المصطفوي فيفصل في شأن الآيات إذ يرى أن آية ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (النحل:١٤) ، كانت في ((مقام استفادة الإنسان من البحر : وعلى هذا ذكر تسخير البحر له ، وأكله منه ، والاستخراج منه ، ورؤية الفلك مواخر فيه بتقديم المواخر الّتى تقع موارد استفادة ، وبعلّة تحقّق الابتغاء من فضله ، بالواو العاطفة على قوله - لتأكلوا))[١٧].

أما آية ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(فاطر:١٢) فكانت ((في مقام تعريف البحر والتوجّه اليه : فيذكر مطلق أكل اللحم ، ومطلق الاستخراج ، ويؤخّر لفظ المواخر عن الضمير (فِيهِ) الراجع إلى البحر ، حتّى تبتغوا من فضله ، بدون عاطفة ، فانّ النظر إلى نفس البحر وخصوصيّته ، لا على الاستفادة منه . وعلى هذا يذكر البحر في الآية بنوعيه الفرات والأجاج ، بخلاف الآية الأولى فيذكر البحر مطلقا))[١٨].

ومنه يتبين إن كلتا الآيتين وإن دلتا على معنى التسخير[١٩]، لكن الأولى دلت على كيفية ذلك التسخير وتعداد طرق الاستفادة من البحر ، بخلاف الآية الثانية التي جاءت العناية فيها بدلالة التذكير بفضل الله عليهم بتسخير البحر لهم ((ليرتدع المكذبون عن تكذيبهم ويكفي في ذلك بيان ابتغائهم الفضل غاية من غير حاجة إلى العطف))[٢٠]، فتسخير البحر كان كافياً في بيان فضل الله عليهم من دون الحاجة الى ذكر أنواع التسخير وكيفيته ولذلك تُرك العطف هاهنا ، واكتفى بإبتغاء الفضل دليلاً على ذلك.

ثانياً : الجمل التي يتعدد احتمال المحذوف فيها

يعد الحذف أو الانتقاص من الأجزاء المشكّلة للجملة من الظواهر الأساسية المحققة للايجاز التركيبي ، الا أنه – أي الحذف - في الوقت نفسه من أهم الميزات التي تزيد الجملة العربية فصاحةً وبياناً[٢١] ، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : ((أن ما من اسم حُذف في الحالة التي ينبغي أن يُحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره)) [٢٢].

ومضافاً إلى الفصاحة والابانة نجد الحذف في الجمل القرآنية أوجد تعدداً في المعنى ؛ وذلك لتعدد التقدير للمحذوف فيها لتدل بذلك على معنيين ، كما في قوله تعالى﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ (النساء :١٢٧)، إذ جاءت جملة (وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنّ) حاملة حكمين شرعيين مختلفين ، **الأول** هو : (في أن تنكحوهن) ، أما **الثاني** فتقديره (عن أن تنكحوهن)، فالمحذوف في الجملة أُول بتأويلين أحدها فترغبوا في أن تنكحوهن لجمالهن ومالهن ، والثاني وترغبوا عن أن تنكحوهن لدمامتهن❖ [٢٣]، ومن المعلوم أن تقدير الحرف (في) يحمل معنى يباين التقدير الآخر وهو تقدير الحرف (عن) مع أن كلا التقديرين مرادٌ في النص الكريم .

وقد جاء في أسباب نزول الآية أن الناس استفتوا الرسول ﷺ في النساء فأنزل الله الآية المذكورة آنفاً ، وقد قالت عائشة ﵂ : ((وقال الله تعالى في الآية - وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنّ - رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال ، فنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من باقي النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهم عنهن)) [٢٤].

فالجملة وبحسب الحذف المحتمل فيها أدت دلالتين للنهي : **الأولى** دلالة النهي عن ترك اليتيمة وعدم التزوج بها لكونها قليلة المال والجمال ، وقد ذكر

ابن ابي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ) أن الآية ((أنزلت في اليتيمة تكون عند الرجل فتشركه في ماله فيرغب عن أن يتزوجها ويكره أن يتزوجها غيره فتشركه في ماله فيعطلها فلا يتزوجها ولا يزوجها غيره)) [٢٥] فجاءت الجملة مُعبرة عن الحالة وحاملة الحكم بالنهي عنها بدلالة قوله تعالى ﴿فِي يَتَامَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ .

وإلى المعنى نفسه أشار الفيض الكاشاني بالقول إن الرجل تكون ((في حجره اليتيمة فتكون دميمة ساقطة ، يعني حمقاء ، فيرغب الرجل أن يتزوجها ولا يعطيها مالها.. أو يمنعها النكاح ويتربص بها الموت ليرثها ، فنهى الله عن ذلك))[٢٦] .

أما الدلالة **الثانية** التي حملتها الجملة الثانية وهي دلالة النهي عن الزواج باليتيمة طمعاً في مالها وجمالها إلا بالقسط : ((قالت عائشة رضي الله عنها : فبيّن الله لهم بهذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات مال وجمال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق ... فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها أو يعطوها حقها الأوفى من الصداق))[٢٧]، ((فنُهوا أن ينكحوا من رغبوا في مَاله وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط))[٢٨].

وبذلك دل التكثيف في الجُملة على النهي عن الفعل مرتين وبصورة مختلفة في كل مرة ، واختزنت الجُملة القرآنية كلتا الدلالتين التي استنبطها المفسرون والمُحدّثون ، واستخرجوا من كل منها حكماً يتعلق بكل من الحالتين على حده ؛ لأنّ ((الحذف في هذا الموضوع جعل الجملة الواحدة وهي قوله (وَتَرْغَبُونَ) بحذف متعلقها ..تقوم مقام جملتين اثنتين ..فقد قامت تلك الجُملة مقام الرغبة والنفرة وهذا الفعل الذي هو (رغب) وما جرى على شاكلته - مما يُغير حرف الجر المعنى فيه - يكون به شدة طلب لمتعلقاته من هذه الاحرف

، لأثرها في تغيير معنى الفعل نفسه ، ولمظنة وقوع الالتباس في فهم مدلولاتها عند حذفها في غالب أحوالها ، ولكن الصياغة القرآنية خرجت بها إلى منحى تكثيف المعنى وإثرائه عن طريق الحذف)) [٢٩].

ويلحظ أن التعبير القرآني قد ناسب رغبة العربي - خصوصاً في الجُملة موضوع النقاش - في الحذف أولاً ، وشحذ التفكير لديه ثانياً لأن التكثيف الدلالي في الجُملة يوحي بمعانٍ كثيرة فيُحرك ذهن المتلقي لاستنباط الحكم ومعرفة الدلالة المطلوبة [٣٠].

وُيستنتج من ذلك أن تعدد المعنى لا يأتي اعتباطاً في النص القرآني بل إنه يأتي موجهاً نحو هدف معين ، قد يكون لأجل استخراج المعاني الكامنة في النص ، أو لأجل شحذ الذهن للوصول إلى حكم معين لا يمكن التوصل اليه إلا بطريق تعدد المعاني في الجُملة وتنوع دلالاتها .

ثالثاً : الجمل الجامعة لأسلوبين في طريقة صياغتها

إذا كان تعدد المعنى قد تحقق في الجمل غير القياسية فإنه في الوقت نفسه يتحقق في الجمل القياسية التي تجمع بين أسلوبين يتكونان من طريقة صياغتها على ذلك النحو ، وبعبارة أخرى فالنص الكريم يبدع في توليد المعاني سواء كانت الجملة مركبة تركيباً نحوياً صرفاً ، أم كان تركيبها خارجاً عن المألوف هادماً للبنية النحوية في ذلك الموضع – كما سبقت الاشارة إليه -

ومن الأمثلة القرآنية التي جاء التركيب فيها ملتزماً بالبنية النحوية ، ودالأ على أكثر من معنى ، قوله تعالى :﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾(المطففين : ١)، إذ جاء التعبير فيها جامعاً بين أسلوبي الخبر والإنشاء [٣١] ؛ ليكون هو الأساس للتكثيف الحاصل فيها ، قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ((قيل : إن ويلاً وادٍ في جهنم قعره سبعون سنة . وقيل{ وَيْلٌ } دعاء عليهم . وقال ابن عباس: كان أهل المدينة من أخبث الناس كَيلاً إلى أن أنزل الله تعالى { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} فأحسنوا

الكيل))[٣٢]. والمطففون هم ((الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس))[٣٣].

وإلى المعنى نفسه ذهب ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨هـ) بأن ((﴿وَيْلٌ﴾ كلمة موضوعة للوعيد والتهديد ، ويُقال ذلك لمن وقع في هلاك وعقاب . وقيل : إن ويلاً وادٍ في جهنم قعره سبعون سنة))[٣٤]، فقول ابن ادريس الأول وهو أن (وَيْلٌ) موضوعة للتهديد والوعيد قصد به الدعاء على هؤلاء بالهلاك والعقاب ، وأما قوله إن (وَيْلٌ) وادٍ في جهنم فقد قصد فيها الإخبار عن ذلك المكان الذي سيُعذب فيه المطففين ، ولعل الجمع بين الأسلوبين متأتٍ من كلمة (ويل) نفسها لأنها ((تأتي بمعاني : حلول الشر ، الحزن ، الهلاك ، المشقة من العذاب ، وادٍ مهيب في نار جهنم ، وتستعمل عادة في اللعن وبيان قبح الشئ ، ورغم صغر الكلمة إلا أنها تستبطن مفاهيم كثيرة))[٣٥] .

وقد يرد هنا سؤال من القارئ ، وهو كيف يدعو الله تعالى على مخلوقاته بالويل والهلاك ؟!

وللإجابة عن ذلك نقول : إن الدعاء هنا بمعنى الشئ المُتحقق بسبب أعمالهم ؛ لأنه ((وإن كان بلفظ الدعاء من اللَّه عز وجل عليهم ، فالمراد به إيجاب الشيء وتحققه ولحوقه بهم ؛ لأن اللَّه لا يدعو على مخلوقاته وهم في قبضته ، مثل قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(الهمزة : ١) وقوله سبحانه : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(المطفّفين : ١)، فهي كلها أحكام تامة ، تضمنها خبره تبارك وتعالى ، وقد وقعت فيهم ، وأصيبوا بالهزيمة والخذلان))[٣٦] .

أما المعنى الآخر في خصوص الآية الكريمة فقد روي عن ((الباقر عليه السلام قال نزلت على نبي الله حين قدم المدينة وهم يومئذ أسوء الناس كيلاً فأحسنوا بعد عمل الكيل ، فأما الويل فبلغنا والله أعلم أنها بئر في جهنم))[٣٧] أعدت لهؤلاء المُخسرين في الأوزان .

وبناء على ما تقدم من تفسير الآية نقول : إن المعنيين مُرادان - والله أعلم - ؛ لأن ويل ((هو مبتدأ وإن كان نكرة فوقوعه في موقع الدعاء))[٣٨] جعله دليلاً على ما أعد الله تعالى لبعض العصاة وذكر سبحانه بأخس ما يقع من المعصية وهو التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثمير المال وتنميته ، فدعا أولاً عليهم وتوعدهم بشدة الشر والحزن والهلاك وقيل العذاب الأليم ثم بيّن أن من أراد فيه ذلك العذاب قد استحق مقراً من النار وثبت له ، بأن جعل له وادياً في جهنم يهوي فيه - والعياذ بالله - سماه بهذه التسمية [٣٩]، فجمع المعنيين بهذا التعبير.

ومن الأمثلة أيضاً التي جمع فيها معنى التوبيخ والنهي قوله تعالى :﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾(البقرة : ٤١) ، فجملة النهي وهي قوله (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) التي كان المقصود بها بني اسرائيل[٤٠] جاءت معطوفة على قوله (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ) ، فإنه تعالى لّما أمرهم بالإيمان بالقرآن ، وكانوا معروفين بشدة العداوة للإسلام، عطف على أمرهم بالإيمان بالقرآن نهيهم عن أن يكونوا أول كافرٍ بالقرآن[٤١]،مما جعله محتملاً لمعنيين ((فالمعنى **الأول** أن يُحمل قوله {أَوَّلَ كَافِرٍ} على حقيقة معنى الأول وهو السابق غيره فيحصل من الجملة المعطوفة تأكيد الجملة المعطوف عليها بدلالة المطابقة ، فالنهي عن الكفر بالقرآن يؤكد قوله {وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ}))[٤٢] .

أما المعنى **الآخر** فيتلخص بأنه ((ليس المقصود منه مجرد النهي عن أن يكونوا مبادرين بالكفر ولا سابقين به غيرهم لقلة جدوى ذلك ولكن المقصود الأهم منه أن يكونوا أول المؤمنين فأفيد ذلك بطريق الكناية التلويحية فإن وصف أول أصله السابق غيره في عمل يعمل أو شئ يذكر فالسبق

والمبادرة من لوازم معنى الأولى لأنها بعض مدلول اللفظ ، ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر كان النهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين))[٤٣].

ثم يُلحظ بأن اجتماع هذين المعنيين قُصِد به التوبيخ ؛ لأن ((المقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كُني به عن معنيين من ملزوماته ، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي ، فيكون معنى النهي مراداً ولازمه وهو الأمر بالمبادرة بالإيمان مراداً وهو المقصود فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معاً ، فباعتبار اللازم يكون النهي في معنى الأمر فيتأكد به الأمر الذي قبله كأنه قيل : وآمنوا بما أنزلت وكونوا أول المؤمنين ، وباعتبار الملزوم يكون نهياً عن الكفر بعد الأمر بالإيمان فيحصل بذلك غرضان))[٤٤]، النهي والتوبيخ.

وفي ذلك إشارة من القدماء إلى تعدد المعنى الوارد في بعض الآيات التي اختصها القرآن لجعلها حاملة أكثر من معنى باستعمال صياغة خاصة حيث ((قصد بالنهي عن شئ الأمر بضده قصداً أصلياً ، ويكون النظم مسوقاً له اصالةً))[٤٥] .

الخاتمة

١- كانت نتيجة استقصاء آراء المفسرين في تفسير آيات قرآنية جاءت فيها الجمل مخالفة لما هو معهود في تركيبها ، أن وجد البحث أن التعدد في المعنى ينشأ بسبب الاختلاف في بناء الجمل القرآنية ، وان طريقة الصياغة وعملية البناء الجملي البعيد عما هو متعارف عليه بين النحاة ، يؤدي بطبيعة الحال إلى تنوع المعنى وتعدد الدلالة .

٢- وتأسيساً على ما تقدم وجد البحث أن الجمل القرآنية في تأديتها لأكثر من معنى فأن ذلك يكون بطرق متنوعة ، فهو أما أن يكون بتعدد احتمالات المحذوف فيها ، أو بواسطة جمع أسلوبين فيها يُستوحيان من طريقة صياغتها بصورة معينة فتؤدي بذلك معنيين في آن معاً ، أو يكون تعدد المعنى في الجملة ناشئاً من تركيبها غير القياسي ، سواء من ناحية تعلق المعنى أم من ناحية تعلق الألفاظ بما يجاورها.

٣- وجد البحث أن تركيب الجمل على اختلافه لا يوجد في القرآن إلا لسبب من الأسباب الداعية إلى وجوده في ذلك السياق ، ومن أهم تلك الاسباب إيجاد التنوع في المعنى ، فقد توحي الجملة القرآنية بمعنيين مختلفين يكونان كلاهما مرادين في آن معاً ، على الرغم من اختلافهما في ذلك الموضع ، ومن كل ذلك يتبين الاعجاز في طريقة صياغة الجمل القرآنية التي أدت أكثر من معنى واحد ، وكانت تلك المعاني مرادة جميعها في السياق الذي وردت فيه ، من دون أن يخل ذلك بفهم المتلقي لما هو مراد من النص القرآني .

هوامش البحث

١. الكتاب ، سيبويه : ١ / ٢٣ .
٢. الخصائص ، ابن جني : ١ / ٧ .
٣. مغني اللبيب ، ابن هشام : ٢ / ٣٧٤ .
٤ .ظ: قصيدة النثر وإنتاج الدلالة ، عبد الكريم حسن : ١٦ .
٥ . م . ن :١٥.
٦. بيّن ابن المعتز ان قوله تعالى : ﴿ام الكتاب ﴾(آل عمران :٧) وقوله ﴿جناح الذل﴾(الاسراء : ٢٤)هو من باب إستعارة الكلمة لشئ لم يُعرف بها من شئ قد عُرِف بها ومثل ذلك قول القائل (الفكرة مخ العمل) فلو قال (لب العمل) لم يكن بديعاً ، ومن

الأمثلة الشعرية التي يضربها في هذا الموضع التي يتبين فيها التكثيف بوضوح قول الشاعر:

إذا لَقِحَتْ حربٌ عَوَانٌ مُضِرةٌ .....ضَرُوسٌ تَهُرُّ الناسَ أنيَابُها عُصْلُ(أي طويلة قوية)

يقول تَهُرُّ : أي تحملهم على أن يكرهوا، يقال هر فلان كذا اذا كرهه، وهرير الكلب صوت يرَدده إلى جوفه إذا كره الشئ أو الشتاء لشدة البرد أو لغيره ، وعليه فهذه الاستعارة قد جمعت معنيين : الأول : تهرالناس أي أنها أساءت أخلاقهم لشدتها ، والثاني : انها تهر كأنها تنبح في وجوههم ، ظ : البديع ، ابن المعتز : ١١و١٩ .

٧ . قراءة النص مقدمة تاريخية ، د.عبد الرحيم الكردي : ١٤٠

٨ . الموسوعة اللغوية ، ن . ي . كولنج ، ترجمة : د محي الدين حميدي و د. عبد الله الحميدان : ٥٩٢/٢ ، وقد ورد في كتاب الموسوعة اللّغوية للدكتور كولنج ان (التلّفت باللّغة الشعرية يحقق اقصى درجات الكثافة) ، فهو يطلق على التغير الحاصل في قوائم الجملة بـ(الاستخدامات التفلتية) وهذه الاستعمالات هي التي تجذب الانتباه اليها لكونها تعبير عن المعاني بطريقة لا تشبه استعمال اللغة القياسية العادية ، ظ : م . ن : ٢ / ٥٩٢ .

٩ . القواعد التحويلية في الجملة العربية ، د. عبد الحليم بن عيسى : ٦٣.

١٠. تفسير البيضاوي ، البيضاوي : ٤ /٣١١ .

١١. تيسير الكريم ، السعدي : ٦٢٨ .

١٢. التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي : ٢٢/١١.

١٣. م . ن : ٢٢/١١ .

١٤ . تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٣ / ٥٥٨ .

١٥. روح المعاني ، الآلوسي : ٢٢ / ١٨٠ .

١٦. م . ن : ٢٢ / ١٨ .

١٧ . التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، الشيخ حسن المصطفوي : ١١ / ٤٩.

١٨. م . ن : ١١ / ٤٩ .

١٩ .ظ : الميزان ، الطباطبائي : ١٧ / ٢٨ .

٢٠ . م . ن : ١٧ / ٢٩.

٢١ . ظ : القواعد التحويلية في الجملة العربية : ٧١- ٧٢.

٢٢ . دلائل الاعجاز ، الجرجاني : ١٥٣.

❖ الدميمة : هي القبيحة المنظر ، يقال دم الرجُل دمامةً: قبح منظره وصَغُر جسمه ، ظ: مجمع البحرين ، الطريحي :٦٤/٦، مادة دمم .

٢٣. ظ : التبيان ، الطوسي : ٣٤٥/٣، وظ: تفسير كنز الدقائق ، الميرزا المشهدي : ٦٣٨/٢.

٢٤ . صحيح البخاري ، البخاري ، باب الشركة في الطعام والعروض :١١٢/٣، وظ: سنن ابي داوود ، السجستاني :٤٥٩/١، و ظ : اسباب نزول الايات ، الواحدي النيسابوري :١٢٣.

٢٥. المصنف ، ابن ابي شيبة الكوفي : ٣ /٤٢٨.

٢٦. التفسير الآصفي ، الفيض الكاشاني :٢٤٢.

٢٧. سنن الدار قطني ، الدار قطني : ١٨٥/٣.

٢٨. م . ن : ٣ /١٨٥.

٢٩ . خصائص بناء الجُملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير ، إبراهيم علي الجعيد ، اطروحة دكتوراة :٢٧٧.

٣٠. ظ: جوانب تركيبية في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ، خليل بشيرالعامري ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية ، المجلد ١٨، العدد ٢: ١٦.

٣١. ظ : الجملة العربية والمعنى ، د فاضل السامرائي : ١٩١ .

٣٢. التبيان : ١٠ / ٢٩٥ .

٣٣. تفسير البغوي ، البغوي : ٤ / ٤٥٧ .

٣٤. المنتخب من تفسير القرآن ، ابن إدريس الحلي : ٢ / ٣٩٦ .

٣٥. الأمثل ، الشيرازي : ٢٠ / ١٤ .

٣٦. التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي : ١ / ٩٠٩ .

٣٧. التفسير الصافي : ٥ / ٢٩٨ .

٣٨. روح المعاني : ٣٠ / ٦٨ .

٣٩. ظ : م . ن : ٣٠ / ٦٧- ٦٨ .

٤٠ . ظ : روح المعاني :٢٤٤/١ .

٤١. ظ : التحرير والتنوير : ١ / ٤٦٠ .

٤٢ . التحرير والتنوير : ١/ ٤٦٠.

٤٣. م . ن : ١ / ٤٦٠ .

٤٤. م . ن : ١/ ٤٦٠ .
٤٥. صورة الامر والنهي في الذكر الحكيم : ١٣٤ .

قائمة المصادر والمراجع

١- أسباب نزول الآيات:أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(٤٦٨هـ) ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٣٨٨ - ١٩٦٨ م .
٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، (د.ط) ، (د.ت).
٣- البديع : أبو العباس عبد الله بن المعتز(٣٩٩هـ) ، شرحه وحققه : عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت – لبنان ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٤- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ) ،تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، طبع ونشر مكتب الاعلام الاسلامي ، ١٤٠٩،١هـ.
٥- تحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، مطبعة چاپخانهء كاويان – طهران ، ١٣٦٠ ش .
٦- التفسير الآصفي : الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ) ، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ١ ، ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش .
٧- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي(٦٨٥هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان ، ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
٨- تفسير التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور(١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
٩- التفسير الصافي : الفيض الكاشاني(١٠٩١هـ) ، مطبعة مؤسسة الهادي - قم المقدسة ، نشر مكتبة الصدر – طهران ، ط٢ ، رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش .
١٠- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤ هـ) ، قدم له : الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

١١- التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان و دار الفكر دمشق – سورية ، ٢ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .
١٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم : سيد محمد طنطاوي ، د. مط ، د.ت .
١٣- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي(١١٢٥هـ) ، تحقيق : حسين درگاهي ، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .
١٤- تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٧٦هـ) ، تحقيق : ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
١٥- الجملة العربية والمعنى : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار ابن حزم بيروت – لبنان ، ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
١٦- جوانب تركيبية في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي(٥٤٨هـ) : خليل خلف بشير العامري ، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية ، المجلد ١٨ ، العدد ٢ ، ٢٠١٠م : ١ – ١٨ .
١٧- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) ، (د. ط) ، (د.ت) .
١٨- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير(التحرير والتنوير) (إطروحة دكتوراه) : إعداد : إبراهيم علي الجعيد ، إشراف : الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى ، ١٩٩٩م .
١٩- دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني(٤٧١هـ) ، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، (د. ط)، (د.ت) .
٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي) : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(١٢٧٠هـ) ، (د. ط)، د.ت
٢١- سنن أبي داود : إبن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ) ، تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
٢٢- سنن الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني(٣٨٥هـ) ، تحقيق : تعليق وتخريج : مجدي بن منصور سيد الشوري ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٢٣- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم : الدكتور محمد توفيق محمد سعد ، مطبعة الأمانة – مصر ، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٢٤- قراءة النص مقدمة تأريخية : الدكتور عبد الرحيم الكردي ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .
٢٥- قصيدة النثر وإنتاج الدلالة : عبد الكريم حسن ، د.مط ، ٢٠٠٨م .
٢٦- القواعد التحويلية في الجمل العربية : الدكتور عبد الحليم بن عيسى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (د.ت) .
٢٧- الكتاب (كتاب سيبويه) : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٨- مجمع البحرين : الشيخ فخر الدين الطريحي(١٠٨٥هـ) ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مكتب النشر الثقافة الإسلامية ، ط٢، ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش .
٢٩- المصنف : ابن أبي شيبة الكوفي(٢٣٥هـ) ، تحقيق وتعليق : سعيد اللحام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م .
٣٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(٥١٦هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
٣١- مغنى اللبيب ، تأليف : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف احمد بن عبد الله ابن هشام الانصاري (ت٧٦١ه) ، تحقيق وفصل وضبط : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة ، ١٤٠٤.
٣٢- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان : إبن إدريس الحلي(٥٩٨هـ) ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، إشراف: السيد محمود المرعشي ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام – قم المقدسة ، ط١، ١٤٠٩هـ .
٣٣- الموسوعة اللغوية : الأستاذ الدكتور ن.ي.كولنج ، ترجمة : الدكتور محي الدين حميدي والدكتور عبد الله الحميدان ، النشر العلمي والمطابع – جامعة الملك سعود ، ١٤٢١هـ .
٣٤- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم المقدسة ، د.ت .